كامل كيلاني

قصص من ألف ليلة

عبد الله البري وعبد الله البحري

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت

رسوم : سمير عزيز

كامل كيلانى

قصص من ألف ليلة وليلة

عبد الله البرّ
وعبد الله البحر

رسوم : سمير عزيز

١ـ عَبْدُ اللّهِ الصَّيَّادُ

كانَ «عبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» رَجُلًا فَقِيرًا جِدًّا . وَكانَ لَهُ عَشَرَةُ أَوْلادٍ يَسْعَى ـ كُلَّ يَوْمٍ ـ لِلحُصُولِ عَلَى قُوتِهِمْ . وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ غَيْرَ شَبَكَتِهِ الَّتى يَصْطادُ بِهَا السَّمَكَ مِنَ البَحْرِ ويَبِيعُهُ ثُمَّ يَشْتَرى ـ بِثَمَنِهِ ـ ما يَقْتاتُ بِهِ هُوَ وَأَوْلادُهُ الْعَشَرَةُ وَزَوْجُهُ الفَقِيرَةُ .

وَما زالَ كَذلِك حَتَّى ماتَتْ زَوْجُهُ ؛ فَحَزِنَ لِمَوْتِهَا أَشَدَّ الحُزْنِ . ولكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الحُزْنَ لا يَنْفَعُ ، فأَسْلَمَ أَمْرَهُ للهِ ، وصَبَرَ عَلَى قَضَائِهِ ، ورَضِىَ بِما قَسَمَهُ لَهُ .

وَذَهَبَ ـ فِى الْيَومِ الثَّانِى ـ مُبَكِّرًا إِلَى الْبَحْرِ ، بَعْدَ أَنْ أَوْصى ابْنَتَهُ «أَمِينَةَ» بِإِخْوَتِهَا . وَكانَتْ «أَمِينَةُ» بِنْتًا مُؤَدَّبَةً ذَكِيَّةً ، فَعُنِيَتْ بِإِخْوَتِها خَيْرَ عِنَايَةٍ .

وَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُمْ ـ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّها ـ والِدَةً ثانِيَةً ، تَغْمُرُهُمْ بِعَطْفِها وَحَنانِها ، وَتُؤَسِّيهِمْ ، وَتَسْهَرُ عَلَى خِدْمَتِهِمْ ، وَتَقُومُ بِكُلِّ ما يَحْتاجُونَ إِلَيْهِ .

٢ـ عَلَى شاطِئِ الْبَحْرِ

وَلَمَّا وَصَلَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» إِلَى الْبَحرِ ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا ، فَلَمْ يَرَ فِيها شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ . فَأَلْقَاهَا فِى الْبَحْرِ ـ مَرَّةً ثَانِيَةً ثُم أَخْرَجَهَا ؛

فَلَمْ يَجِد فِيها سَمَكةً مَّا ، ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً ثالِثَةً . وَصَبَرَ عَلَيهَا قَلِيلًا . وَلَمَّا جَذَبَها وَجَدَهَا ثَقِيلَةً ؛ فَفَرِحَ بِذَلِك ، وَظَنَّ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ بِالسَّمَكِ . وَلَكِنَّ فَرَحَهُ لَمْ يَطُلْ ، فَقَدْ وَجَدَهَا ـ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَها مِنَ الْبَحْرِ ـ مَمْلُوءَةً بِالرَّمْلِ والْحَشَائِشِ وَالْوَحَلِ فَرَمَى ما فِيها ، وَنَظَّفَها وَغسَلَها ، ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً أُخْرَى ـ وَهُوَ يَرْجُو أَنْ تَصْطَادَ شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَجَذَبَهَا ، فَرَآهَا ثَقِيلَةً جِدًّا .

فَفَرِحَ بِذلِكَ ، وَقَالَ فِى نَفْسِهِ :

«لا شَكَّ فِى أَنَّ شَبَكَتِى قَدِ امْتَلأَتْ سَمَكًا فِى هذِهِ الْمَرَّةِ» .

ثُمّ جَذَبَهَا ـ بِكُلِّ قُوّتِهِ ـ حَتَّى أَخْرَجَهَا بَعْدَ عَنَاءٍ شَدِيدٍ . فَرَأَى فِيهَا جَرَّةً مَمْلُوءَةً بِالطِّينِ وَالْحَصَى .

فَحَزِنَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» أَشَدَّ الحُزْنِ ، وَتَأَلَّمَ لِسُوءِ بَخْتِهِ . وَقَالَ فِى نَفْسِهِ :

«إنّ الفَرَجَ يَأْتِى بَعْدَ الشِّدَّةِ ، وَلا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ . فَإنّ اللهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ لَنْ يَتْرُكَنِى وَأَوْلادِى بِلا قُوتٍ فِى هذا الْيَوْمِ الَّذِى لَمْ أَرَ لَهُ شَبِيهًا طُولَ عُمْرِى» .

ثُمَّ رَمَى الْجَرَّةَ ، وَنَظَّفَ شَبَكَتَهُ وَغَسَلَهَا ، وَذَهَبَ بِها إِلَى مَكَانٍ آخَرَ وَأَلْقَاهَا فِى البَحْرِ ، فَلَمْ تَصْطَدْ شَيْئًا !

وَمَا زَالَ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكانٍ إِلَى آخَرَ ، ويُلْقِى شَبَكَتَهُ ـ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ ـ حَتَّى جاءَ وَقْتُ الْمَسَاءِ ، ولَم يَصْطَدْ سَمَكَةً وَاحِدَةً . فَرَجَعَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» أَدْرَاجَهُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مَحْزُونٌ لِما لَقِيَهُ فِى ذَلِكَ اليَوْمِ المَنْحُوسِ .

٣ـ عَبْدُ اللهِ الخَبَّازُ

وَما زالَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» سائِرًا فِى طَرِيقِهِ ـ وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مَحْزُونٌ ـ يُفَكِّرُ فِى أَوْلادِهِ الْعَشَرَةِ الَّذينَ تَرَكَهُمْ فِى الْبَيْتِ مِنَ الصَّباحِ ـ بِلا طَعامٍ ـ حَتَّى وَصَلَ إِلَى دُكَّانِ خَبَّازٍ غَنِىٍّ مَعْرُوفٍ ، اسْمُهُ : «عَبْدُ اللهِ الخَبَّازُ» فَرَأَى النَّاسَ مُزْدَحِمِينَ عَلَى دُكَّانِهِ لِشِرَاءِ الْخُبْزِ . وَرَأَى «عَبْدَ اللهِ الخَبَّازَ» ، مَشْغُولًا بِالبَيْعِ .

وَكانَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» جائِعًا لَمْ يَذُقْ طَعَامًا فِى نَهارِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُبْزَ أَمَامَهُ ـ وَهُوَ خارِجٌ مِنَ الْفُرْنِ ـ اشْتَهَتْهُ نَفْسُهُ ، وَذَكَرَ أَوْلادَهُ الْعَشَرَةَ الْجائِعِينَ ، فَتَحَسَّرَ لِفَقْرِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ شِرَاءِ ما يَقْتَاتُونَ بِهِ . ولَكِنَّهُ صَبَرَ عَلَى قضاءِ اللهِ ، وعَلِمَ أَنَّ رِزْقَهُ لَا بُدَّ آتِيهِ .

وكانَ «عَبْدُ اللهِ الْخَبَّازُ» صاحِبُ هذا الْفُرْنِ رَجُلًا مُحْسِنًا كَرِيمًا مُحِبًّا لِلْخَيْرِ . فَلَمَّا رَأَى «عَبْدَ اللهِ الصَّيَّادَ» واقِفًا أَمَامَ دُكَّانِهِ ، مَحْزُونًا مُتَأَلِّمًا ، يَنْظُرُ إِلَى الْخُبْزِ بِلَهْفَةٍ وَحَسْرَةٍ ، عَرَفَ أَنَّهُ فَقِيرٌ مُحْتاجٌ جائِعٌ ، وأَدْرَكَ أَنَّ نَفْسَهُ تَشْتَهِى الْخُبْزَ ، ويَمْنَعُهُ الخَجَلُ والْحَياءُ مِنَ السُّؤَالِ .

فَنَادَاهُ بِرِفْقٍ وهُو يَبْتَسِمُ لَهُ :

«مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الصَّيَّادُ ، تَعالَ إِلَىَّ أَيُّهَا الرَّفِيقُ الْعَزِيزُ ، هَلُمَّ يا صَاحِبِى ، فَخُذْ ما تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ» .

فَسَكَتَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» ، وظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَمَاراتُ الِارْتِبَاكِ والْخَجَلِ .
ولَمْ يَجْرُؤْ عَلَى طَلَبِ شَيْءٍ مِنَ الْخُبْزِ ، لأَنَّهُ كانَ ـ عَلَى فَقْرِهِ ـ عَزِيزَ النَّفْسِ ، ولَمْ يَتَعَوَّدِ الْمَسْأَلَةَ فِى حَياتِهِ قَطُّ . فَقَالَ لَهُ «عَبْدُ اللهِ الْخَبَّازُ» ، وقَدْ أَدْرَكَ ما يَجُولُ فِى نَفْسِهِ :
«لا تَخْجَلْ يَا صاحِبِى ، فَلَنْ أُطالِبَكَ الْآنَ بِثَمَنِ ما تَأْخُذُهُ مِنَ الْخُبْزِ» .

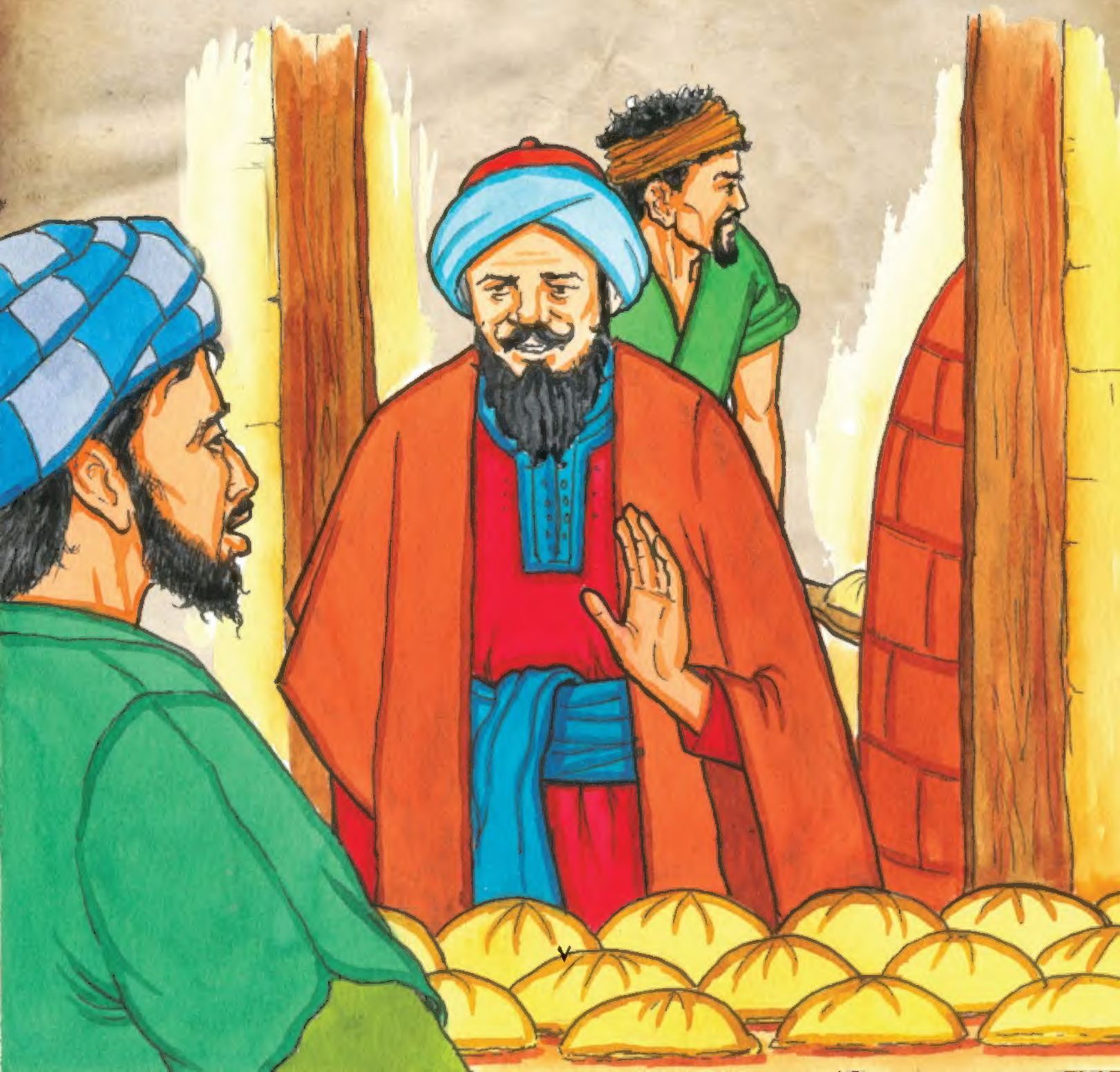

فَتَشَجَّعَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» قَلِيلًا ، وقالَ لَهُ :

«الْحَقُّ يا سَيِّدِى أَنَّنِى خَجِلٌ مِنْكَ. فَلَيْسَ مَعِى نُقُودٌ أَشْتَرِى بِها ما أَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ فِى هذا الْيَومِ . فَإِذا شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ شَبَكَتِى ، لِتَكُونَ رَهْنًا عِنْدَكَ بِما آخُذُهُ مِنَ الْخُبْزِ لأَطْفالِى الْعَشَرَةِ الصِّغارِ ، الَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ مِنَ الصَّباحِ بِلا طَعامٍ ، حَتَّى يُيَسِّرَ لِى اللهُ ، فَأُعْطِيَكَ ثَمَنَ مَا أَخَذْتُهُ مِنَ الْخُبْزِ» .

فَزادَ عَطْفُ الْخَبَّازِ وتَأَثُّرُهُ ، فَقالَ لَهُ مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا :

«وَمِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ عَلَى المَالِ ، إِذا أَخَذْتُ مِنْك شَبَكَتَكَ الَّتى تَصْطادُ بِهَا ؟ كلَّا ، لا تُقْلِقْ بَالَكَ يا صاحِبِى بِشَىءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَتَعالَ فَخُذْ ما تَشاءُ مِنَ الْخُبْزِ ، ثُمَّ أَحْضِرْ لِى بِثَمَنِهِ سَمَكًا ـ مِمَّا تَصْطَادُ ـ مَتَى يَسَّرَ اللهُ لَكَ» .

وَلَمَّا رَأَى الْخَبَّازُ تَرَدُّدَ الصَّيَّادِ وَارْتِباكَهُ وحَياءَهُ أَعْطاهُ مَا يَكْفِيهِ ـ هُوَ وَأَوْلادَهُ الْعَشَرَةَ ـ مِنَ الْخُبْزِ ، وقالَ لَهُ :

«خُذْ هذِهِ النُّقُودَ ـ يا صاحِبِى ـ فَاشْتَرِ بِها لِأَوْلادِكَ الْعَشَرَةِ شَيْئًا مِنَ اللَّحْمِ والْفاكِهَةِ والْحَلْوَاءِ . فَشَكَرَهُ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» عَلَى كَرَمِهِ ومُرُوءَتِهِ ، وأَخَذَ مِنْهُ مَا أَعْطاهُ لَهُ .

وانْصَرَفَ وَهُوَ فَرْحانُ ، واشْتَرَى لأَوْلادِهِ أَطْيَبَ الْمَآكِلِ . وعَادَ إِلَى بَيْتِهِ ، وقَدْ تَبَدَّلَ يَأْسُهُ أَمَلًا وَحُزْنُهُ سُرُورًا .

٤ـ أيَّامُ النَّحْسِ

وفى الْيَوْمِ التَّالِى ، ذَهَبَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» إِلَى الْبَحْرِ . وظَلَّ يُلْقِى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، ثُمّ يُخْرِجُهَا ، فَلا يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ . وَما زالَ كَذلِكَ حَتَّى خَيَّمَ اللَّيْلُ ، فَارْتَدَّ رَاجِعًا إِلَى بَيْتِهِ . ولَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ دُكَّانِ «عَبْدِ اللهِ الْخَبَّازِ» ، أَسْرَعَ فِى سَيْرِهِ حَتَّى لا يَراهُ . ولكِنَّ الْخَبَّازَ رَآهُ ، وَهُوَ يُسْرِعُ فِى خُطاهُ ، فَأَدْرَكَ أَنَّ خَجَلَهُ وَحَياءَهُ يَمْنَعانِهِ مِنْ طَلَبِ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْخُبْزِ والْمالِ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ . فَنَادَاهُ :

«تَعالَ يا صَاحِبِى الصَّيَّادَ ، فَقَدْ نَسِيتَ أَنْ تَأْخُذَ الْخُبْزَ فى هذِهِ اللَّيْلَةِ».

فَعادَ إِلَيْهِ الصَّيَّادُ وهُوَ مُرْتَبِكٌ ، وقَالَ لَهُ ، والْخَجَلُ ظاهِرٌ عَلَى وَجْهِهِ :

«كَلَّا ، لَمْ أَنْسَ شَيْئًا يا سَيِّدِى ، ولكِنَّ الْخَجَلَ قَدْ مَنَعَنِى مِنْ ذلِكَ ، لأَنَّنِى لَمْ أَصْطَدْ شَيْئًا مِنَ السَّمَكِ فِى هذا الْيَوْمِ ، وَلِهذَا لَمْ أُعْطِكَ ما اقتَرَضْتُهُ مِنَ الْمالِ ، وَلا ثَمَنَ ما أَخَذْتُهُ مِنَ الْخُبْزِ .

فَقالَ لهُ الْخَبَّازُ ، مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا :

«لا تُقْلِقْ بالَكَ يا أَخِى ، فَإِنِّى لَنْ آخُذَ مِنْكَ شَيْئًا ـ مِنَ الْمَالِ أَو السَّمَكِ ـ إِلَّا إِذا تَبَدَّلَ عُسْرُكَ يُسْرًا ، وإِنِّى أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللهِ أَلَّا تَخْجَلَ مِنْ طَلَبِ كُلِّ ما تَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنِّى .

ثُمَّ أَعْطاهُ ـ مِنَ الْخُبْزِ والْمَالِ ـ مِثْلَ ما أَعْطاهُ فِى اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ ، فَأَخَذَهُ الصَّيَّادُ شاكِرًا ، واشْتَرَى لأَوْلادِهِ شَيْئًا مِنَ الطَّعامِ والْحَلْوَاءِ والْفاكِهةِ .

وظَلَّ الصَّيَّادُ ـ فِى كُلِّ يَوْمٍ ـ يَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ ويُلْقى فِيهِ شَبَكَتَهُ طُولَ النَّهارِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْطادَ شَيْئًا . فيَذْهَبُ لَيْلًا إِلى دُكَّانِ الْخَبَّازِ ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ ما يَحْتاجُ إِلَيهِ مِنَ الْخُبْزِ والْمالِ ، ويَشْتَرِى لِأَوْلادِهِ ما يَحْتاجُونَ إِلَيْهِ . وَما زالَ كَذلِكَ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

٥ـ بَيْنَ الصَّيَّادِ وَابْنَتِهِ

فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الْحَادِى والْأَرْبَعُونَ ، جَلَسَ الصَّيَّادُ يُفَكِّرُ فِيما لَقِيَهُ مِنَ الْكَسَادِ . فَحَزِنَ وتَأَلَّمَ ، ثُمَّ بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْحُزْنِ والْأَلَمِ فَسَأَلَتْهُ ابْنَتُهُ «أَمِينَةُ» وهِىَ مَحْزُونَةٌ لِحُزْنِهِ :

«مِمَّ تَبْكِى يَا أَبَتِ ؟» . فَقَصَّ عَلَيْها قِصَّتَهُ كُلَّهَا . فَقالَتْ لَهُ : «وَهَلْ أَظْهَرَ لَكَ الْخَبَّازُ شَيْئًا مِنَ النُّفُورِ أَو الإِعْرَاضِ ؟ وهَلْ آذاكَ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ يا أَبَتِ؟» . فَقالَ لَها الصّيَّادُ : «كَلَّا يا ابْنَتِى الْعَزِيزَةَ ، بَلْ هُوَ ـ عَلَى الضِّدِّ مِنْ ذَلِكِ ـ يَهَشُّ لِى كُلَّما رَآنِى ، ويَبْتَسِمُ مُتَرَفِّقًا عَلَىَّ . ولكِنَّنِى خَجِلٌ جِدًّا لأَنَّنِى لَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا مِمَّا اقْتَرَضْتُهُ مِنْهُ .

وقَدْ مَرَّ بِى أَرْبَعُونَ يَومًا لَمْ أَصْطَدْ فِيها سَمَكَةً واحِدَةً أُهْدِيها إِلَى هذا الْخَبَّازِ الْمُحْسِنِ الَّذى غَمَرَنِى بِكَرَمِهِ . ولَقَدْ هَمَمْتُ مِرارًا بتَقْطِيعِ شَبَكَتى ورَمْيِها حَتَّى لا أُتْعِبَ نَفْسِى بِها كُلَّ يَوْمٍ عَلَى غَيْرِ جَدْوَى» . فَقالَتْ لَهُ : «عَلَى الإِنسَانِ أَنْ يَسْعَى ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِدْراكُ النَّجَاحِ ، وَلا بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى قَضاءِ اللهِ . وَيَجِبُ عَلَيْكَ ـ يا أَبَتِ ـ أَنْ تَحْمَدَ اللهَ عَلَى لُطْفِهِ بِكَ ، فَقَدْ عَطَفَ عَلَيْكَ قَلْبُ هذا الْخَبَّازِ الْمُحْسِنِ فِى أَيَّامِ الضِّيقِ. وَلا بُدَّ أَنْ يَأْتِىَ الْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ ، والْفَرَجُ بَعْدَ الضِّيقِ .

وَمَنْ يَدْرِى ؟ فَلَعَلَّ هذا الْيَوْمَ يَكُونُ خاتِمَةَ أَيَّامِ النَّحْسِ وَفاتِحَةَ أَيَّامِ الْيُسْرِ والْفَرَجِ» .

٦ـ جُثَّةُ الْحِمَارِ

فخَرَجَ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» مِنْ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مُسْتَبْشِرٌ بِما قالَتْهُ ابْنَتُهُ لَهُ ، وَلمّا وصَلَ إِلَى الْبَحْرِ ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، وصَبَرَ عَلَيْها قَلِيلًا ، ثُمَّ جَذَبَها ، فَوَجَدَها ثَقِيلَةً جِدًّا . فَقالَ فِى نَفْسِه :

«لا شَكَّ أَنَّ أَيَّامَ النَّحْسِ قَدِ انْقَضَتْ ، وَجاءَ وَقْتُ الْفَرَجِ» . ثُمَ جَذَبَ الشَّبَكَةَ بِقُوَّةٍ حَتَّى أَخْرَجَها ـ بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ ـ فَوَجَدَ جُثَّةَ حِمارٍ مَيِّتٍ. فَانْقَلَبَ فَرَحُهُ وَسُرُورُهُ حُزْنًا وَغَمًّا ، وَقالَ فِى نَفْسِهِ :

«لَقَدْ كُتِبَ عَلَىَّ الشَّقاءُ وَالنَّحْسُ . وَما أَحْسَبُنى أَصْطادُ شَيْئًا بَعْدَ الْيَوْمِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ آخِرُ أَيَّامِ الْبُؤْسِ وَأَوَّلُ أَيَّامِ الْفَرَجِ ، فإذا بِهِ أَشَدُّ الأَيَّامِ نَحْسًا . فَإِنَّنِى لَمْ أَصْطَدْ ـ فِى حَياتِى كُلِّها ـ مِثْلَ هذا الْحِمارِ الْمَيِّتِ ، الذِى كادَتْ تُهْلِكُنِى رائِحَتُهُ الْكَرِيهَةُ» .

وَهَمَّ بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِهِ وَرَمْيِها ، والرُّجُوعِ إِلَى بَيْتِهِ يائِسًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. وَلكِنَّهُ ذَكَرَ نَصِيحَةَ ابْنَتِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الشِّتاءَ ـ إِذا اشْتَدَّ بَرْدُهُ الْقارِسُ ـ جاءَ بَعْدَهُ الرَّبِيعُ الْبَهِيجُ ، وَأَنَّ الصَّيْفَ ـ إذا اشْتَدَّ حَرُّهُ اللَّافِحُ ـ جاءَ بَعْدَهُ الْخَرِيفُ الْجَمِيلُ ، وَأَنَّ الْبُؤْسَ ـ إذا اشْتَدَّ ضِيقُهُ واسْتَحْكَمَ ـ أَعْقَبَهُ الْفَرَجُ . فَصَبَرَ عَلَى قَضاءِ اللهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ شَبَكَتِهِ جُثَّةَ الْحِمارِ الْمَيِّتِ وَرَماها . ثُمَّ نَظَّفَ الشَّبَكَةَ وَذَهَبَ بِها إِلى مَكانٍ آخَرَ مِنَ الْبَحْرِ يَتَلَمَّسُ رِزْقَهُ فِيهِ .

٧ـ عَبْدُ اللّهِ الْبَحْرِىُّ

ثُمَّ أَلْقى الصَّيَّادُ شَبَكَتَهُ فِى الْبَحْرِ ، بَعْدَ أَنْ دَعا اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ . وَصَبَرَ عَلَيْها مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ جَذَبَها فَرَآها ثَقِيلَةً جدًّا . فَظَلَّ يَجْذِبُهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، حَتَّى أَخْرَجَها . فَوَجَدَ فِيها رَجُلًا عَجِيبَ الْخِلْقَةِ ، غَرِيبَ الشَّكْلِ ، جِسْمُهُ جِسْمُ إِنْسانٍ ، وَلَهُ ذَيْلٌ طَوِيلٌ كَذَيْلِ السَّمَكِ .

فَخافَ الصَّيَّادُ عَلَى نَفْسِه ، وَظَنَّهُ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ ، فَصَرَخَ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَالرُّعْبِ ، وَأَرادَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ ، وَلكِنَّ ذلِكَ الرَّجُلَ ناداهُ مُتَلَطِّفًا ، وَقالَ لَهُ بِكَلامٍ عَرَبِىٍّ فَصِيحٍ :

«لا تَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ مِنِّى يا صَاحِبِى ، فَأَنا إِنْسانٌ مِثْلُكَ ، وَلَسْتُ عِفْرِيتًا كَما تَظُنُّ . وَأَنا أَعْبُدُ اللهَ كَما تَعْبُدُهُ . وَإِنَّما أَنْتَ إِنْسانٌ بَرِّىٌّ : تَعِيشُ فِى الْبَرِّ ، وَأَنا إِنْسانٌ بَحْرِىٌّ : أَعِيشُ فِى الْبَحْرِ» .

فاطْمَأَنَّ الصَّيَّادُ حِينَ سَمِعَ كَلامَهُ ، وَزَالَ عَنْهُ الْخَوْفُ .

٨ ـ الْفَرَجُ بَعْدَ الضِّيقِ

ثُمَّ سَأَلَهُ «عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» عَنِ اسْمِهِ ، فَقالَ لَهُ :

«اسْمِى عبدُ اللهِ الْبَحْرِىُّ . فَما اسْمُكَ أَنْتَ ؟» . فقالَ لَهُ :

«اسْمِى عَبْدُ اللهِ الصَّيَّادُ» . فَقالَ لَهُ :

«أَنْتَ تَعِيشُ فِى الْبَرِّ ، فَأَنا أُسَمِّيكَ مِنَ الْيَوْمِ «عَبْدَ اللهِ الْبَرِّىَّ» . وَسَنَكُونُ صَدِيقَيْنِ - مِنْ هذا الْيَوْمِ - ونَحْلِفُ عَلَى الْوَفاءِ جَميعًا ، ونَلْتَقِى فِى صَباحِ كُلِّ يَوْمٍ . فَتُحْضِرُ لِى أَنْتَ ما تَخْتارُهُ مِنْ فَواكِهِ الْبَرِّ ، وأُعْطِيكَ ما تُحِبُّهُ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ» .

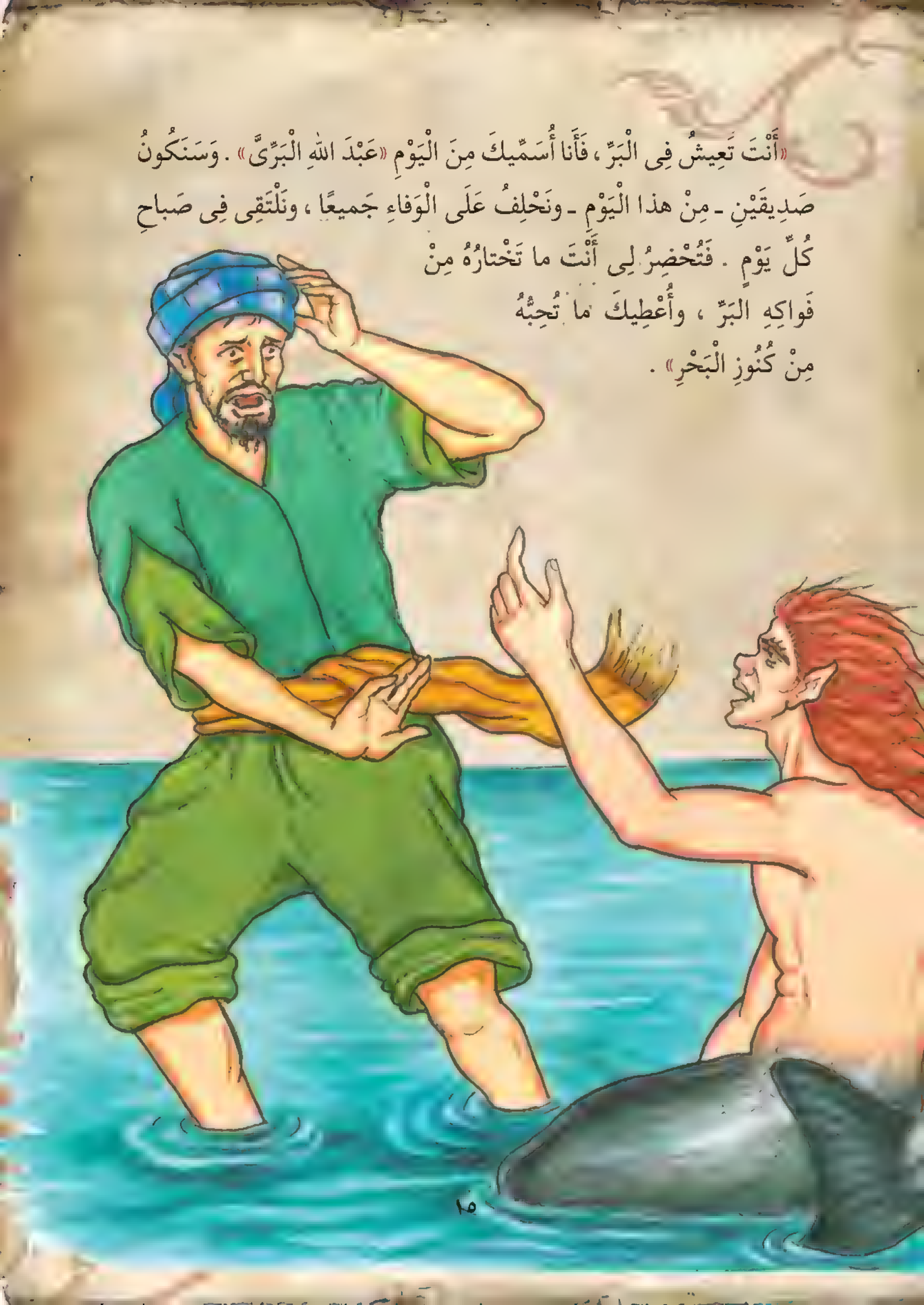

فَفَرِحَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّىُّ» بِذلِكَ ، وأَعَادَهُ إِلَى الْبَحْرِ . فَغابَ عَنْهُ مُدَّةً قَلِيلَةً ولَمْ يَعُدْ . فَقالَ فِى نَفْسِهِ : «لَقَدْ خَدَعَنى هذا الرَّجُلُ . ولَوْ أَخَذْتُهُ مَعِى وعَرَضْتُهُ فِى السُّوقِ ، لَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ هَيْئَتِهِ الْغَرِيبَةِ . فَجَمَعْتُ مِنْهُمْ مالًا كَثِيرًا» ..

وبَيْنا هُوَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَياعِ هذهِ الْفُرْصَةِ النَّادِرَةِ ، إِذْ خَرَجَ إِلَيْهِ «عَبْدُاللهِ الْبَحْرِىُّ» وَيَداهُ مَمْلُوءَتانِ بِالْيَاقُوتِ والزُّمُرُّدِ والْمَرْجانِ . فَفَرِحَ بِذلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَعَرَفَ صِدْقَهُ فِيما قالَ . ثُمَّ وَدَّعَهُ ، بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ بِإِحْضارِ سَلَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفَاكِهَةِ فِى الْيَوْمِ التَّالى .

فَقالَ لَهُ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِىُّ» :

«إِذا لَمْ تَجِدْنِى ، فَنادِنِى باسْمِى ، لأَخْرُجَ إِلَيْكَ تَوًّا» .

وَانْصَرَفَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّىُّ» وَهُوَ فَرْحانُ بِما نالَ مِنْ ثَرْوَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا طُولَ عُمْرِهِ .

٩ـ وَفاءُ الدَّيْنِ

وَلَمْ يَنْسَ فَضْلَ صَدِيقِه الْخَبَّازِ عَلَيْهِ ، فَأَسْرَعَ إِلَى دُكَّانِه ، وَناداهُ . وَقَسَمَ بَيْنَهُ وبَيْنَ الْخَبَّازِ ما مَعَهُ مِنَ اللَّآلِئِ بِالسَّوِيَّةِ ، فَفَرِحَ الْخَبَّازُ بِهذهِ الثَّرْوَةِ الْعَظِيمَةِ أَشَدَّ الْفَرَحِ ، وَشَكَرَهُ عَلى وَفائِهِ ، وَحَمَلَ إِلَى بَيْتِه كُلَّ ما فِى دُكَّانِه مِنَ الْخُبْزِ ، وَأَعْطاهُ كُلَّ ما عِنْدَهُ مِنَ النُّقُودِ .

وذَهَبَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» إِلَى السُّوقِ فاشْتَرَى مِنْ أَطايِبِ الْمَأكِلِ وَالْفاكِهَةِ وَالْحَلْوَاءِ شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا ، وَعادَ إِلَى أَوْلادِهِ وَهُوَ مُبْتَهِجٌ .

وَفرِحَتْ «أَمِينَةُ» وَإِخْوَتُها بِمَا نالَهُ أَبُوهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ .

١٠ـ بَيْنَ يَدَى الْمَلِكِ

وَذَهَبَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّىُّ» صَباحَ الْيَوْمِ التَّالِى إِلى صَديقِهِ «عَبْدِ اللهِ الْبَحْرِىِّ» وعَلى رَأْسِهِ مِشَنَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِأَطْيَبِ الْفاكِهَةِ ، ولَمَّا وصَلَ إِلَى الْبَحْرِ نادَى : «يا عَبْدَ اللهِ الْبَحْرِىَّ» .

فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، وسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وأَخَذَ مِنْهُ ما أَحْضَرَهُ مِنَ الْفاكِهَةِ . وَمَلأَ لَهُ السَّلَّةَ مِنْ كُنُوزِ الْبَحْرِ وَنَفائِسِه ، فَذَهَبَ بِها إِلَى الْبَيْتِ وأَخَذَ مِنْها بَعْضَ اللَّآلِئِ لِيَبِيعَها فِى السُّوقِ .

فَلَمَّا رَأَى الْجَوْهَرِىُّ ما مَعهُ ، ظَنَّ أَنَّهُ سَارِقٌ ، فَنادَى رِجَالَ الشُّرْطَةِ لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِ وذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْمَلِكِ ، بَعْدَ أَنْ أَهانُوهُ وضَرَبُوهُ ، فَسأَلَهُ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا :

«مِنْ أَيْنَ أَحْضَرْتَ هذِه النَّفائِسَ ؟» . فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ كُلَّها . فَأَسَّاهُ الْمَلِكُ ، ووَبَّخَ الْجَوْهَرِىَّ ورِجَالَ الشُّرْطَةِ ، وَعاقَبَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ . ورَأَى ما أَعْجَبَهُ مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ ووَفْرَةِ عَقْلِهِ ، فَقالَ لَهُ :

«إِنَّ الْمَالَ ـ يا وَلَدِى ـ يَحْتاجُ إِلى الْجَاهِ لِيَحْمِيَهُ مِنْ أَذَى السُّفَهاءِ والأَشْرارِ . وسَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِى ، وَأَجْعَلُكَ وَزِيرِى ، فَلا يَجْرُؤُ أَحَدٌ على إِيذائِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ» .

١١. وَفاءُ الصَّدِيقَيْنِ

وأَصْبَحَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ وَزيرَ الْمَلِكِ وَصِهْرَهُ ، ونَقَلَ أَوْلادَهُ إِلى الْقَصْرِ مُعَزَّزِينَ مُكَرَّمِينَ .

وَلكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ صَديقَهُ «عَبْدَ اللهِ الْخَبَّازَ» ، الذّى آساهُ فِى أَيَّامِ مِحْنَتِهِ . فَذَهَبَ إِلَى مَخْبَزِهِ ، فَرَآهُ مُغْلَقًا. فَسَأَلَ النَّاسَ عَنْ بَيْتِه حَتَّى اهْتَدَى إِلَيْه ، وعَلِمَ أَنَّهُ مَرِيضٌ فَناداهُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْخَبَّازُ نِداءَهُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَعانَقَهُ ، وهُوَ فَرْحانُ بِقُدُومِهِ . فَسَأَلَهُ : «لِماذا أَغْلَقْتَ دُكَّانَكَ ؟» . فَقالَ لَهُ :

«عَلِمْتُ ما لَحِقَ بِكَ مِنَ الْإِهانَةِ ؛ فَتَأَلَّمْتُ لِذلِكَ أَشَدَّ الْأَلَمِ ، ومَرِضْتُ بِسَبَبِ حُزْنِى عَلَيْكَ» . فَشَكَرَهُ عَلى وَفائِهِ ، وقَصَّ عَلَيْهِ ما حَدَثَ لَهُ ، وزَوَّجَهُ بِابْنَتِهِ «أَمِينَةَ» ، وقَدَّمَهُ إِلَى الْمَلِكِ ، وذَكَرَ لَهُ وَفاءَهُ وفَضْلَهُ عَلَيْهِ.

فَأُعْجِبَ الْمَلِكُ بِوَفائِهِما إِعْجابًا شَدِيدًا ، وجَعَلَ «عَبْدَ اللهِ الْخَبَّازَ» وَزِيرًا مَعَ صِهْرِهِ «عَبْدِ اللهِ الْبَرِّىِّ» .

١٢ ـ عَجائِبُ الْبَحْرِ

وكانَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّىُّ» يَذْهَبُ ـ كُلَّ صَباحٍ ـ إِلى صَديقِهِ «الْبَحْرِىِّ» بِمِشنَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْفاكِهَةِ ، ويَعُودُ بِها مَمْلُوءَةً بِالأَحْجارِ الكَرِيمَةِ . وَفِى ذاتِ يَوْمٍ جَلَسا يَتَحَدَّثانِ ، فَدَعا الْبَحْرِىُّ صَدِيقَهُ الْبَرِّىَّ لِيُرِيَهُ عَجائِبَ الْبَحْرِ . فَخَلَعَ مَلابِسَهُ ، ودَهَنَ جِسْمَهُ بِمَرْهَمٍ عَجِيبٍ أَحْضَرَهُ لَهُ ، حَتَّى لا يُؤْذِيَهُ الْماءُ . ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُ فِى قَرارِ الْبَحْرِ . ورَأَى ما يَحْوِيهِ الْبَحْرُ مِنْ كُنُوزٍ ، ومِنْ سَمَكٍ مُخْتَلِفِ الْأَنْواعِ والْأَلْوانِ ، مِنْهُ ما يُشْبِهُ ـ فِى خِلْقَتِهِ ـ الْجامُوسَ والْبَقَرَ ، ومِنْهُ ما يُشْبِهُ الْكِلابَ ، ومِنْهُ ما يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْتَلِعَ الْجَمَلَ أَوِ الْفِيلَ، ولكِنَّهُ يَنْفُرُ مِنَ الْإِنْسانِ . ويَهْرُبُ مِنْهُ إِذَا رَآهُ . وكانَ يَرَى ـ كُلَّ يَوْمٍ ـ عَجائِبَ وغَرائِبَ لا تُوصَفُ .

١٣ ـ كِذْبَةُ (الْبَرِّىِّ)

وكانَ يأْكُلُ ـ كَما يأْكُلُ صَـدِيقُـهُ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْـرِىُّ» ـ سَمَكًا نَيِّئًا ، فَسَئِمَتْ نَفْسُهُ ذلِكَ الطَّعامَ ، وأَرادَ الرُّجُوعَ إِلَى الْبَرِّ . ولكنَّ صَدِيقَهُ ذَهَبَ بِهِ إِلَى بَيْتِهِ ـ وهُوَ كَهْفٌ فِى قَرارِ الْبَحْرِ ـ وأَراهُ أَوْلادَهُ وهُمْ يُشْبِهُونَهُ فِى الْخِلْقَةِ .

فَعَجِبَ مِنْ أَذْنابِهِم ، وعَجِبُوا مِنْهُ إِذْ رَأَوْهُ بِلا ذَنَبٍ . وسَأَلُوا أَباهُمْ :

«مَنْ هذا الْأَبْتَرُ ؟» فَقالَ لَهُمْ :

«إِنَّ سُكَّانَ الْبَرِّ لَيْسَ لَهُمْ أَذْنابٌ» . فَعَجِبُوا مِنْ ذلِكَ .

وبَيْنَا هُمْ جالِسُونَ ، إِذْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَحَدِ جِيرانِ «عَبْدِ اللهِ الْبَحْرِىِّ» ، يَعْرِضُ عَلَى ضَيْفِهِ أَنْ يَزُورَهُ فِى بَيْتِهِ .

فَقالَ الْبَرِّىُّ لِلْبَحْرِىِّ : «لَقَدْ سَئِمَتْ نَفْسِىَ الْبَقاءَ فِى الْبَحْرِ ، وَلا أُرِيدُ الذَّهابَ إِلَى جارِكَ ، فَقُلْ لِرَسُولِهِ : إِنَّنِى قَدْ عُدْتُ إِلَى الْبَرِّ أَمْسِ» . فَصاحَ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِىُّ» غاضِبًا :

«أَنْتَ تَكْذِبُ ، وتُرِيدُ مِنِّى أَنْ أَكْذِبَ ؟ إِنَّ الرَّجُلَ الذِى يَكْذِبُ لا وَفاءَ لَهُ ، ولَنْ أُصاحِبَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ» .

وَصاحَ أَوْلادُهُ : «هذا عَجِيبٌ ! هذا رَجُلٌ يَكْذِبُ ، وَما سَمِعْنا طُولَ عُمْرِنا أَنَّ رَجُلًا يَكْذِبُ» .

فَخَجِلَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» أَشَدَّ الْخَجَلِ ، وَعادَ بِهِ «عَبْدُ اللهِ الْبَحْرِيُّ» إِلَى الْبَرِّ. ولَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذلِكَ الْيَوْمِ !

١٤ ـ خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

عادَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» إلى بَيْتِهِ ، فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ عَنْ سَبَبِ غَيْبَتِهِ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ ما حَدَثَ ، فَعَجِبَ مِنْ قَوْلِهِ أَشَدَّ الْعَجَبِ .

ثُمَّ عاشَ «عَبْدُ اللهِ الْبَرِّيُّ» مَعَ زَوْجِهِ وأَوْلادِهِ مَسْرُورِينَ ، ولكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ كِذْبَتَهُ .

وكانَ يَخْجَلُ كُلَّما ذَكَرَها أَشَدَّ الْخَجَلِ .

مَكْتبةُ الْكِيلانِى للأَطْفَالِ

... وتَمْتازُ تَوالِيفُ الْكِيلانِى بالْبَساطَةِ فى التَّعبيرِ ، والصِّحةِ فى الْأَلْفاظِ ، والرِّقَّةِ فى التَّركيبِ . والدِّقَّةِ فى الْأَداءِ ، والسَّلاسةِ والسُّهولةِ ، مَعَ اجْتِنابِ كُلِّ غَريبٍ ونَابٍ ، ومع تَوَخِّى التَّدرُّجِ بالطِّفلِ . هذا إِلَى الشَّكْلِ الْكامِلِ - حتَّى يُؤمَّنَ الْخطَأَ - والْإِكْثارِ مِنَ الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ الْمُغْرِيةِ بالْقِراءَةِ .

إبراهيم عبد القادر المازنى

... وإِنِّى لَأَرْجُو أَنْ يَأْتِىَ الْيَوْمُ الَّذِى تَصِيرُ فِيهِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ سَلِيقَةً عِنْدَ مُتَعَلِّمِينا . فَإِذا قُيِّضَ لَها ذلِك ؛ كانَ الْفَضْلُ راجِعًا - فِى مُعْظَمِهِ - إِلَى كُتُبِ الْأُسْتاذِ الْكِيلانِى ...

على مصطفى مشرفة